

آلية التقابل المصطلحي ودورها في تيسير الدرس الصوتي عند تمام حسن

مصراع إسهمان *

الملخص

في هذه الورقة البحثية تظهر آلية التقابل المصطلحي جلية في النظام الصوتي بوصفه أحد أنظمة اللغة العربية ، وتجلّى عند تمام حسن في طائفة من المتقابلات على سبيل التخالف أو التضاد ، نحو:

الفونيتيك والفونولوجيا ، الصوت والحرف ، الصّاح والعلل ، الشّدة والرّخاوة ، الجهر والهمس ، الإطباق والتّغوير ، التّفخيم والترقيق... ولهذه الأخيرة دور مهم في تيسير الدرس الصوتي ؛ لأنّ ماهية أيّ عنصر تُعرف بذكر ما يخالف هذا الأخير ، وكذا لأنّ الأشياء تُعرف بأضدادها.

الكلمات المفاتيح: آلية ، التقابل المصطلحي ، التيسير ، الفونيتيك ، الفونولوجيا ، الصوت ، الحرف

Résumé

Notre recherche s'intéresse au mécanisme de la terminologie contrastive, celle-ci est apparente dans le système de la langue arabe en général, et le système phonétique en particulier. Tammâm Hassân manifeste un ensemble d'équivalences opposées, tels : phonétique et phonologie, phonème et morphème, consonnes et voyelles, rigidité et mollesse, déclamation et chuchotement, dislocation et extraction, amplification et aiguisement. Ce dernier joue un rôle important dans la simplification du cours de phonologie, car l'essence de tout élément se connaît par son opposé, par ailleurs, on connaît les choses par leurs contraires.

Mots clés : Mécanisme, Terminologie Contrastive, Simplification, Phonétique, Phonologie, Phonème, Morphème.

Summary

Our research paper focuses on the mechanism of contrastive terminology is clearly shown in the system of the Arabic language in general, and in the phonetic system in particular. Tammâm Hassân demonstrates a set of opposed equivalencies like phonetics and phonology, phoneme and morpheme, consonant and vowel, rigidity and softness, declamation (loudness) and whisper, disruption and extraction, amplification and attenuation. The latter plays an important role in simplifying the course of phonology, because the essence of every element is determined by its opposite, furthermore, we determine things by their opposites.

Key words: Mechanism, Contrastive Terminology, Simplification, Phonetics, Phonology, Phoneme, Morpheme.

* أستاذ مساعد أ ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

حدود هذا العمل. والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك. والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط. والكلام حركة واللغة نظام هذا الحركة. والكلام يُحسُّ بالسمع نطقاً وبالبصر كتابة، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام. والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً، ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية⁴. ويشير إلى أن "الكلام في النهاية هو التطبيق العملي لشروط اللغة؛ أي وضع الجهاز اللغوي الساكن في ظروف عمل وحركة"⁵.

ومما سبق ذكره يتضح أن الكلام يُدرس في حقل علم الأصوات أي الفونيتيك، أما اللغة فتُدرس في حقول متعددة منها ما يرتبط بالصرف والنحو، ومنها ما يرتبط بالدلالة والمعجم، وكل ذلك يصب في منهج التشكيل الصوتي أي الفونولوجيا

ثانياً- التقابل المصطلحي بين الفونيتيك و

الفونولوجيا

على الباحث أن يحترم درجات سلم البحث في نظام اللغة، بتسبيق دراسة الصوت عن سائر أنظمة الدراسة اللغوية؛ إذ يرى تمام حسان أن "للبحث في نظام اللغة درجات منتظمة في رتبة محفوظة لا يمكن تجاهلها، لأن كل درجة منها تبدأ من حيث انتهت سابقتها، غير أن أولى هذه الدرجات (وهي درس الأصوات اللغوية) لا يسبقها إلا إدراك المسموع من الكلام بلغة ما"⁶.

وهذه سيرة الأقدمين من علمائنا الأجلاء؛ فقد تفتنوا إلى أن اللغة العربية لا يمكن أن يفهم نحوها وصرفها فهما صحيحاً إلا بعد دراسة أصواتها. فسيبويه كان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدّمة لا بد منها لدراسة اللغة، وأن النظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النظام الصرفي وغيره⁷.

ودراسة الصوت تقوم على محورين متقابلين؛ أحدهما يربط الأصوات بالكلام ويسمى: علم الأصوات، والآخر يربط الحروف باللغة ويسمى: علم التشكيل الصوتي. ولتوضيح ذلك يشير تمام حسان إلى قول تروبتسكوي: "إن علم دراسة أصوات الكلام هو علم الأصوات، وعلم دراسة أصوات اللغة هو علم التشكيل الصوتي"⁸.

وقد تحدّث تمام حسان عن محوري دراسة الصوت سابق الذكر في كتابه: *مناهج البحث في اللغة*⁹ فنعت الأول بمنهج الأصوات-الفوناتييك، وسمّى الثاني بمنهج التشكيل الصوتي-الفونولوجيا. وفي كتابه: *اللغة العربية معناها*

انطلاقاً من التقابل المصطلحي بين: المعيارية والوصفية تجدر الإشارة إلى أن تمام حسان قد أبحر في المناهج اللغوية الحديثة، وتمكّن من فهم إجراءاتها ولم يكتف بتناولها نظرياً؛ إذ طبّق المنهج الوصفي بآلياته المتعدّدة على اللغة العربية الفصحى. ويظهر ذلك جلياً في مؤلفاته التي "تعدّ حتى الآن هي الأساس الوحيد لدراسة اللغة دراسة علمية جادة"¹.

إن التقابل المصطلحي يكون بين مصطلحين أو أكثر ممّا يساعد على التمييز بين معاني هذه المتقابلات. ويرى تمام حسان أن "كلّ نظام من أنظمة اللغة العربية [والنظام الصوتي واحد من هذه الأنظمة ينبنى] على طائفة من المقابلات أي أنواع التخالّف"² أو التّضاد؛ فمن أمثلة التخالّف: التقابل بين اللغة والكلام، وبين الفونيتيك والفونولوجيا، وبين الصوت والحرف، ومن أمثلة التّضاد: التقابل بين الصّحاح والعلل، وبين الشّدة والرّخاوة، وبين الجهر والهمس، وبين الإطباق والتّفوير، وبين التّفخيم والترقيق، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أولاً- التقابل المصطلحي بين اللغة والكلام

يمهّد تمام حسان حديثه عن الأصوات بالتمييز بين اللغة والكلام؛ فيرى أن اللغة هي النظام المجرد في ذهن الجماعة اللغوية المعينة، وتدرس عن طريق مناهج متعدّدة: الدّلالة، والأسلوب، والمعجم، والنحو والصرف، والتشكيل الصوتي. في حين يرى أن الكلام هو النشاط الذي يقوم به المتكلّم في الموقف المعين طبقاً لصورة صوتية ذهنية، ويُدرس عن طريق منهج الأصوات³.

ويفرّق تمام حسان بين طابع عمل المتكلّم وبين طابع عمل اللغوي؛ فيرى أن اللغة بالنسبة للمتكلّم معايير تُراعى، وبالنسبة للباحث ظواهر تُلاحظ. وهي بالنسبة للمتكلّم ميدان حركة، وبالنسبة للباحث موضوع دراسة. وهي بالنسبة للمتكلّم وسيلة حياة في المجتمع، وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن عرف المجتمع. والمتكلّم يشغل نفسه بواسطتها والباحث يشغل نفسه بها. ويُحسّن المتكلّم إذا أحسن القياس على معاييرها، ويُحسّن الباحث إذا أحسن وصف نماذجها.

وينظر تمام حسان إلى اللغة والكلام من زاوية جديدة هي طبيعة كلّ منهما وتكوينه فيرى أن: الكلام عمل واللغة

رمز في الكتابة التشكيلية. وعدد الأصوات في كل اللغات تقريبا أكثر من عدد الحروف¹⁷.

رابعا-التقابل المصطلحي بين الصّاح والعلل:

يُفرق تمام حسان بين: الصّاح Consonants، والعلل vowels. ويرى أنّ الباحثين لم يستقروا على تعريف لهما يقبله الجميع. ويُسلط الضوء على الأسس التي بنى عليها العلماء التفريق بين الصّحيح والعليل متناولا إياها بالشرح التّدق، متدرّجا في استقراء الأسس الآتية:

الأساس الأوّل: ويضمّ الجانب الفسيولوجي.

الأساس الثّاني: ويضمّ الجانب الصّوتي.

الأساس الثّالث: ويضمّ الجانبين الفسيولوجي والصّوتي معا.

الأساس الرّابع: ويضمّ التّطيرز اللّغوي؛ الوظيفة و التّوزيع¹⁸.

ويشير تمام حسان إلى أنّ التّداخل كبير حدّ الخلط بين علم الأصوات وعلم التّشكيل الصّوتي في التفريق بين الصّاح والعلل، انطلاقا من الأسس سابقة الذّكر، فأما العلم الأوّل فيشمل الأساسين الأوّل والثّاني متفرّقين أو مجتمعين. وأما العلم الثّاني فيتناول الصّاح والعلل من ناحية الأساس الأخير أي التّطيرز اللّغوي الذي يضمّ الوظيفة والتّوزيع. وبعد تحليل تمام حسان للأسس السابقة نقضها بعد أن نقدتها جملة؛ وفيما يأتي تفصيل ذلك:

رأى أنّ الأساس الأوّل القائم على المدخل الفسيولوجي قاصر على التفريق بين الصّاح والعلل؛ على أنّ الأوّل -الأصوات الصّحيحة- يحدث معها تضيق في مجرى الهواء أو إقفال تام له، وأنّ خاصية الثّانية -أصوات العلة- غياب أيّ تضيق أو سدّ في مجرى الهواء. ويؤكّد على أنّ هذا التّفريق سطحي مصطنع لأنّه يعتمد على مادة من خارج اللّغة، بعد قطع الصّلة بين هذه المادّة وبين بيئتها الأصلية التي هي علم الفسيولوجيا، لأنّ الصّاح والعلل في علم التّشكيل الصّوتي حروف لا أصوات؛ أي أنّها ليست حركات تشرّحها الفسيولوجيا، ولهذا -كما يرى تمام حسان- ليس من الدّقة أن نقول حرف العلة لا يوجد في نطقه تضيق ولا سدّ في مجرى نطقه، لأنّ الحروف لا تُنطق، وإنّما تُنطق الأصوات. وهو تفريق قاصر لأنّه لا يكفي الحاجات العملية للبحث؛ وأكثر من ذلك أنّ هذا المدخل الفسيولوجي استخدم لحلّ

ومبناها¹⁰ خصّص الفصل الثّاني للمحور الأوّل، وسماه: الأصوات؛ ويقصد به ما تشير إليه النّظرية اللّغوية الحديثة بمصطلح: Phonetics؛ أي الدراسة الصّوتية التي تقوم على الملاحظة والتّسجيل والوصف للجوانب الفسيولوجية والتّطيقية والسّمعية والآثار المصاحبة لها دون النّظر إلى وظائف الأصوات داخل اللّغة¹¹. وخصّص الفصل الثّالث للمحور الثّاني وسماه: النّظام الصّوتي أو علم الصّوتيات؛ ويقصد بهما ما تشير إليه النّظرية اللّغوية الحديثة بالمصطلح الإنجليزي: Phonology؛ أي دراسة الأصوات من حيث هي نظام داخل لغة معيّنة، وهذه الأصوات لها وظائف مميّزة¹². ويرى تمام حسان أنّ الفرق بين علم الأصوات وعلم الصّوتيات ينعكس على من يشتغل بهما؛ فعالم الأصوات ملاحظ ومُسجّل، وعالم الصّوتيات مفسّر ومنظّم ومقعد¹³.

ثالثا-التقابل المصطلحي بين الصّوت والحرف:

لقد جرت العادة في اللّغة العربية، على أنّ اصطلاح الحرف يُطلق على مفهوم واسع؛ فيشمل الحرف بمفهومه الأبجدي التّقسيمي، ويشمل الحرف بمعناه الرّمزي الكتابي. والحديث عن الحرف بمفهومه الأبجدي التّقسيمي، يُحيل إلى الحديث عن تقسيم عربي أبجدي فكري لحروف لا تُنطق لأنّها أقسام لا أصوات¹⁴، وهذه الأقسام تُعرف في الدّراسات اللّغوية الحديثة باصطلاح الفونيمات أو الحروف. وأما الحديث عن الحرف بكونه الخط الرّمزي الكتابي، فيرى تمام حسان أنّ الحروف ليست هي تلك الصّورة الكتابية التي تخطّها، فهذه رموز كتابية إلى الحروف. وليست الحروف هي ما تنطقه بلسانك أثناء الكلام، فهذه أصوات. ولكن الحروف هي أقسام يشمل كلّ منها عددا من هذه الأصوات¹⁵.

أما الصّوت فهو "عملية [نطقية] حركية يقوم بها الجهاز النّطقي، وتصحّبها آثار سمعية تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصّوت وهو الجهاز النّطقي، ومركز استقباله وهو الأذن"¹⁶.

وإذا كانت الأصوات تدخل في نطاق حاسة السّمع والبصر وفي العمليات الحركية فإنّ الحروف تدخل في نطاق الفهم، فكلّ حرف منها هو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها سبب معيّن، فهو فكرة عقلية. وإذا كان الصّوت ممّا يوجد المتكلّم فإنّ الحرف ممّا يوجد الباحث. ولكلّ حرف

التشكيل الصوتي لا من منهج الأصوات، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يكتفي من العملة التقديمية بأحد وجهيها عن كليهما؛ فالأصوات والتشكيل الصوتي وصف ثم تقعيد للموصوف. والمعروف أنّ كلّ شيء يُمكن أن يحدّد إيجاباً وسلباً، والحدّد الإيجابي ذكر الماهية، والسلبّي ذكر النقيض، وهذا ما يدخل في القيم الخلافية التي تعدّ ضرورية في فهم أيّ شيء؛ فالقيم الخلافية هامة جداً في دراسة الأصوات والتشكيل الصوتي، بل لها من الأهمية ما يساوي أهمية القيم الوفاقية²⁴. وعليه فإنّ دراسة المخارج والصفات، سيكون من باب الجمع بين وجهي العملة التقديمية.

يُفرّق تمام حسان بين الأصوات والحروف فيقول: "ليست الحروف هي ما تنطقه بلسانك أثناء الكلام، فهذه هي الأصوات، ولكن الحروف هي أقسام يشتمل كلّ منها على عدد من هذه الأصوات"²⁵.

ومن هذا المنطلق يرى أنّ تقسيمات الحروف لا تبني على اعتبارات فيسيولوجية عضوية أو طبيعية صوتية كالأصوات؛ لأنّ الحروف الصّحاح وحروف العلة لا تنطق، وإنّما الأصوات الصّحاح وأصوات العلة هي التي تنطق.

ويمكن أن تنسب المخارج والصفات للحروف كما تنسب للأصوات، ولكن دون القصد من هذه النسبة لأي معنى عضوي فيسيولوجي في المخارج، ولا طبيعي صوتي في الصفات؛ وإنّما يستعمل اصطلاحاً المخارج والصفة بالنسبة للحروف استعمالاً تشكيمياً محضاً غير أصواتي، على نقيض مخارج الأصوات وخصائصها²⁶. وعليه سيتمّ الجمع بين مخارج الأصوات ومخارج الحروف وكذا بين صفات الأصوات وصفات الحروف، مع محاولة عدم الخلط بين المفاهيم. وفيما سيأتي تسليط اللّوء على ما أورده تمام حسان في موضوعي المخارج والصفات الصوتية:

1- مخارج الأصوات والحروف

1.1. تعريف المخارج

يرى تمام حسان أن الإنسان قادر على تحريك الأعضاء المتحركة في جهازه التّطقي وتقريبها من أجزائه الأخرى فيحدث تضيقاً في مجرى الهواء، كما يمكنه إصاق الأجزاء المتحركة بالأجزاء الأخرى الثابتة فيثقل مجرى الهواء إقبالاً تاماً، وبهذا التّضيق وذلك الإقبال أو عدمهما يستطيع المرء أن يحدث الكثير من الأصوات، ومكان التّضيق أو

مسألة لم يُعيّن مستوى بحثها، أهو الأصوات، أم التشكيل الصوتي، أم هما معاً¹⁹.

وكذلك الحال بالنسبة للأساس الثاني الذي ينطلق من أنّ التّفريق بين الصّحاح والعلل مبني على اعتبارات صوتية؛ كالعلوّ النسبي أو قوّة الاستماع، وطريقة التّلق وحال المخرج. وبهذا يؤكّد تمام حسان قصور المدخل الفسيولوجي سواء أكان بمفرده أم مضافاً للأساس الصوتي، ويبرز ذلك -كما سبقت الإشارة إليه- بكون الحروف وحدات فكرية تقسيمية، لا جرس لها ولا وضوح سمعي لها لأنّها غير منطوقة.

وأما الأساس الأخير الذي يركّز على الوظيفة التي تؤدّيها الصّحاح والعلل، فينطلق تمام حسان ممّا ذهب إليه بعض الباحثين أمثال: فندريس، من أنّ الوظيفة قد تختلف في الصّحاح والعلل، إلاّ أنّه لا يوجد في الطّبيعة الفعلية للأصوات حدّ فاصل يفرّق بينهما. وبالتالي لا يُمكن الفصل بين ما هو أصواتي، وما هو تشكيلي من الصّحاح والعلل²⁰.

وانطلاقاً من أنّ: "في اللغة العربية أصوات كثيرة مقسّمة إلى أقسام، أي حروف، أقل في العدد؛ و كلّ من الحروف و الأصوات ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما الصّحاح والعلل"²¹، وعليه فكلّ واحد منهما -أي الصّحاح والعلل- يعدّ عملة بوجهين؛ الوجه الأوّل: يمثّل الأصوات، والوجه الثّاني: يمثّل الحروف. وتحوي اللغة العربية من الحروف الصّحيحة ثمانية وعشرين قسماً، يدخل تحت كلّ قسم منها واحد أو أكثر من الأصوات؛ "فأما الحروف العربية الصّحيحة فهي: ء ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي"²² وأما الأصوات فعددها يزيد عن ذلك.

تهدف دراسة أعضاء التّلق إلى الكشف عن المخارج الصوتية وصفات الأصوات اللّغوية، ويتجلّى ذلك في "غرض علم الأصوات اللّغوية من دراسة الصّوت، أن يُبيّن ما في نطقه من حركات عضوية، وما فيه من ظواهر صوتية. فأما الحركات العضوية فتدرس عادة تحت اسم المخارج، ... وأما الظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الحركات فيطلق عليها اسم الصفات"²³.

يُشير تمام حسان إلى أنّ المخارج والصفات التي تستخدمها اللغة العربية الفصحى، يُمكن حصرها في التّمييز بين أصواتها. وهذا الاستخدام للتمييز إنّما يعدّ من منهج

ولأنّ تمام حسان يُحدّد مكان النطق -أي المخرج -

بالتضيق أو الإقفال التام الناتجين عن تلاحم الأعضاء

المتحرّكة بالأعضاء الثابتة في الجهاز النطقي تمّ تحديد

المخارج الصوتية على ضوء ذلك في الجدول الآتي³⁰:

حسان

المخارج الأصوات	أقسام مخارج الحروف	العضو المتحرّك	العضو الثابت
1. شفوي Bi-labial	ب ، و ، [م]*	الشفة السفلى	الشفة العليا
2. شفوي اسناني Labio-dental	ف	الشفة السفلى	الأسنان العليا
3. أسناني Dental	ظ ، ذ ، ث	طرف اللسان	الأسنان العليا
4. أسناني لثوي Denti-alveolar	ض ، د ، ط ، ت ، ز ، ص ، س	طرف اللسان مقدّمة اللسان	الأسنان العليا اللثة
5. لثوي Alveolar	ل ، ر ، ن	طرف اللسان	اللثة
6. غاري Platal	ش ، ج ، ي	مقدّمة اللسان	الغار و هو الحنك الصلب
7. طبقي Velar	ك ، غ ، خ	مؤخّر اللسان	الطبّق و هو الحنك اللين
8. لهوي Uvular	ق	مؤخّر اللسان بالهياة	————
9. حلقي Pharyngal	ح ، ع	————	تضييق الجدار الخلفي للحلق
10. حنجري Glottal	ه ، ء	إقفال أو تضيق في الأوتار الصوتية	————

الشمولية هي التي أخذ عليها القدماء في منهجهم لدراسة اللغة.

ويشير تمام حسان إلى أنّ سيبويه ومعاصريه قد

اتّجهوا عند التّظر في استنباط الحروف من الأصوات اتّجها عكس البحث الحديث ، الذي ينطلق في دراسة الصوتيات من الأصوات إلى الحروف ؛ فبعد ملاحظة الأصوات ووصفها تبوّب في مجموعات ، وتسمّى كلّ مجموعة منها حرفا. في حين أنّ سيبويه ومعاصريه قد ارتضوا لتحليل الأصوات العربية بالنّظام الصوتي المشهور الذي ينطلق من أنّ لكلّ حرف رمز كتابي يدلّ عليه دون التّظر إلى ما تدرج تحته من أصوات ، فجعلوا الأصوات العربية التي تحت كلّ حرف من هذا النّظام لا تعدوا أنّ تكون صفة لهذا الحرف كأن تكون إدغاما له أو إقلابا أو إخفاء³².

يرى سيبويه أنّ أصول حروف العربية تسعة وعشرون حرفا ، ولها رموز متّفق عليها نحو: الهمزة ورمزها (ء) ، الألف ورمزها (ا) ... وصولا إلى الحرف التاسع والعشرين وهو الهاء ورمزه (هـ) ، ويضيف إلى ذلك ستّة فروع أصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة الورد في الكلام ؛ إذ يُؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي: النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والألف التي تُمال إمالة شديدة ، والسّين التي كالجميم والصاد التي تكون كالزّاي ، وألف التّفخيم.

الإقفال هو المخرج²⁷ وجمعه المخارج Articulations²⁸. وبما قلّ ودلّ يعرّفه فيقول: " المخرج مكان النطق "²⁹.

1.1.1. أ. مخارج الأصوات ومخارج الحروف عند تمام

تجدد الإشارة إلى الإجابة عن السّؤال الذي طرحه تمام حسان في كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها ، وهو: كيف

كان موقف النّحاة العرب من دراسة الأصوات العربية ؟

انطلق تمام حسان للإجابة عن هذا السّؤال من عرض رؤية سيبويه كبير أئمّة النّحاة ، ومنهجه في دراسة الأصوات ، و جعل ذلك ركيزة أساسية لطرحة الجديد ؛ مظهرا منهج سيبويه في قوله: " ويظهر أنّ سيبويه كان على وعي تام بأنّ دراسة الأصوات مقدّمة لا بدّ منها لدراسة اللغة ، وأنّ النّظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النّظام الصّرفي بل لعلّه كان يرى في النّظام الصوتي جزءا لاحقا ، أو من دراسة الصّرف نفسها حتّى إنّ وضع الدّراسات الصوتية تحت عنوان (باب الإدغام) قد كشف عن وجهة نظره من جهة وقيد دراسة الأصوات ، وضيّق مجالها من جهة أخرى. وتأتي دعوى تضيق سيبويه لمجال دراسة الأصوات من أنّ الإدغام ليس جزءا من النّظام الصوتي ، وإنّما هو ظاهرة سياقية... ولكنّ سيبويه مهّد لدراسة الإدغام بدراسة الأصوات... فتناول هذه الأصوات بالوصف من حيث المخرج وطريقة النطق والجهر والهمس والتّفخيم والتّريق ناظرا إلى الصّوت في حالة عزلة عن السّياق "³¹.

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ تمام حسان أراد أن يُبيّن عدم استقلالية الدّراسات الصوتية عند سيبويه ، الذي جعل النّظام الصوتي جزءا من دراسة الصّرف ، وهذه

والصوت -كما ذهب إليه تمام حسان- إذ أن ما ذكره سيبويه من فرق بين الحروف الأصول والفروع ، يدل على معرفة تامة بما يعنيه كل من الحرف والصوت³⁵.

وتنبه سيبويه إلى الفرق الكامن بين الحروف الأصلية والفرعية يتم عن إدراكه الفرق بين الفونيم والألوفون إذ أن " الحروف التي سمها سيبويه الحروف الفروع هي التي تسمى في الدرس الصوتي الحديث بالصورة الصوتية أو الألوفون"³⁶.

1.1. ب- مخارج الحروف عند سيبويه

ذهب تمام حسان إلى أن سيبويه أحصى المخارج التي تخرج منها الأصوات العربية ، فعدها خمسة عشر مخرجا. ويورد جدولا لأصوات العربية كما كان يراه سيبويه³⁷:

الأصوات العربية	مخارج الحروف عند سيبويه
ب . م . و	1. ما بين الشفتين
ف	2. باطن الشفة السفلى و أطراف الأسنان
ظ . ذ . ث	3. طرف اللسان و أطراف الثنايا
ر . ص . س	4. طرف اللسان و فوق الثنايا
ط . د . ت	5. طرف اللسان و أصول الثنايا
ن	6. ما بين طرف اللسان و فوق الثنايا
؟	7. ما بين اللسان و فوق الثنايا أدخل في ظهر اللسان
ل	8. حافة اللسان إلى الطرف و ما فوقهما
ض . ش	9. أول حافة اللسان و ما يليه من الأضراس
ج . ي	10. وسط اللسان و وسط الحنك الأعلى
ك	11. مؤخر اللسان و ما يليه من الحنك الأعلى
ق	12. أقصى اللسان و ما يليه من الحنك الأعلى
غ . خ	13. أدنى الحلق
ح . ع	14. وسط الحلق
ه . ء	15. أقصى الحلق

فوق الضاحك والتاب والرابعة والثنية ، مخرج: اللام. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فوق الثنايا ، مخرج: التون. ومن مخرج التون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا ، لانحرافه إلى اللام ، مخرج: الراء. ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، مخرج: الطاء ، والدال والتاء. ومما بين طرف اللسان وفوق الثنايا ، مخرج: الزاي ، والسين ، والصاد. ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ، مخرج: الطاء ، والدال ، والتاء. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ، مخرج الفاء. ومما بين الشفتين ، مخرج الباء ، والميم ، والواو. ومن الخياشيم ، مخرج: التون الخفيفة³⁸.

وأضاف إلى ما سبق ثمانية حروف مستهجنة في قراءة القرآن والشعر ، ولا تكثر في لغة من تُرتضى عربيته وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالسين* ، والصاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والطاء التي كالتاء ، والباء التي كالفاء³³.

يرى تمام حسان أن سيبويه -رغم تفرقه بين أصول الحروف وفروعها- إلا أنه لا يفرق بين اصطلاحي الحرف والصوت كما فرق علم اللغة الحديث بين Allophone و Sound Pheneme فالحرف لديه يشمل كل ذلك³⁴.

إن استعمال سيبويه لمصطلح الحروف بدلا من الأصوات ، لا يعني أنه لم يكن يفرق بين اصطلاحي الحرف

من خلال الجدول السابق يؤكد تمام حسان أن مخارج الأصوات عند سيبويه خمسة عشر مخرجا ، في حين يذهب أغلب الدارسين -كالفايز صدار- إلى أن المخارج عند سيبويه ستة عشر³⁸. وسيبويه نفسه يقول: " ولحروف العربية ستة عشر مخرجا: فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجا: الهمزة ، والهاء ، والألف. ومن أوسط الحلق مخرج: العين ، والحاء. وأدناه مخرجا من الفم: الغين ، والحاء. ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ، ومما يليه من الحنك [الأعلى] ، مخرج: الكاف. ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ، مخرج: الصاد. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما

الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الفاء، القاف، والكاف⁴².

والتون الخفيفة هي التون الساكنة المتبوعة بحروف الإخفاء مما يؤدي إلى ضياع الكثير من خصائصها الصوتية، واكتسابها من خصائص الحرف الذي يليها على خلاف التون المتحركة واضحة الصوت⁴³.

يذهب تمام حسان إلى أن النحاة العرب قد أخلطوا خلطاً كبيراً في تحديد بعض المخارج⁴⁴، فسيبويه مثلاً يسمي التون مرة خيشومية لأنها تُنطق في تجويف الفم، ويخرج الهواء من الخيشوم وهي النون الخفية التي أسقطت من الجدول السابق ومرة ثانية يقول إنها من بين طرف اللسان وما فوق الثنايا وهي التون الأصلية التي أثبتت في الجدول- فتتمام حسان أثبت الأصل وأسقط الفرع.

تجدد الإشارة أيضاً إلى أن تمام حسان قد جعل فيما عنونه بجدول الأصوات العربية كما يراه سيبويه-مخرج الشين من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس، إلى جانب الضاد في حين أن مخرج الشين إلى جانب الجيم والياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.

من منطلق تعريف تمام حسان للمخرج على أنه مكان النطق من زاوية، ومن زاوية أخرى تبنيه لفكرة الإجمال أكثر من فكرة التفصيل في المخارج الصوتية، يطرح التساؤل الآتي:

هل يُمكن لصوتين أو أكثر الاجتماع في مكان نطق واحد؟

للإجابة عن هذا السؤال، تجدد الإشارة إلى الفرق الكامن بين المخرج الصوتي والحيز الصوتي؛ فالخليل بن أحمد الفراهيدي فرق بينهما؛ فرأى أن المخرج هو النقطة الدقيقة التي يخرج منها الصوت، في حين أن الحيز الصوتي هو المنطقة التي يُنسب إليها أكثر من صوت. في حين أن الحيز الصوتي هو المنطقة التي يُنسب إليها أكثر من صوت، وهذه الأصوات بعضها أرفع من بعض⁴⁵.

من هنا يمكن القول إن الحيز الصوتي أشمل وأعم من المخرج الصوتي؛ فالحيز يضم مخرجين أو أكثر، شريطة التقارب بين هذه المخارج. وعليه فلكل صوت نقطة مخرج دقيقة ومحددة له وله فقط، لا يشترك فيها مع أي صوت آخر. ولكن، قد يجتمع مخرج هذا الصوت مع غيره من

إن نظرة تأملية فاحصة إلى مخارج الأصوات عند سيبويه -كأنموذج قديم- ومخارج الأصوات عند تمام حسان -كأنموذج حديث- تبين ما يأتي:

الاختلاف في عدد المخارج الصوتية عند سيبويه، ولتفسير ذلك، وُضع احتمال اختلاف الطباعات لكتاب سيبويه، علماً أن تمام حسان لم يشر إلى الكتاب لا في متنه ولا في هامشه، فهو لا يُشير غالباً إلى مصادر بحثه، وإن أشار فلا يعبأ بمعلومات الطبع. وبموازنة بسيطة بين طبعة بولاق الأولى والطبعة الخامسة لكتاب سيبويه والتي حققها عبد السلام هارون، لوحظ على الأخيرة منها سقوط عبارة: "ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الصّاحك والتاب والزباجية والثنية، مخرج: اللام"³⁹.

ولكن، وبعد تأمل لوحظ أن مخرج اللام لم يسقط مما سمّاه تمام حسان بجدول الأصوات العربية كما يراه سيبويه، وإنما حدث خلط بين مخرج الرّاء ومخرج الرّاي، ففي كتاب: اللغة العربية معناها ومبناها طبعة دار الثقافة⁴⁰ نُسب الرّاء إلى مخرج طرف اللسان وفوق الثنايا، في حين أن هذا مخرج الرّاي إلى جانب الضاد والشين. ولم يُنسب إلى مخرج: ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا أدخل في ظهر اللسان أي صوت، وهو -من المفروض- مخرج صوت الرّاء الذي وُضع خطأ مكان الرّاي.

وللتأكد أكثر تمّت العودة إلى كتاب: اللغة العربية معناها ومبناها طبعة عالم الكتب فلوحظ أن الخطأ نفسه مع فارق بسيط؛ وهو أن الرّاء نُسب إلى مخرجين: مرة عن خطأ - كما سبق ذكره- إذ وُضع مكان الرّاي في مخرج طرف اللسان وفوق الثنايا، ومرة عن صواب: إذ وُضع في مخرجه وهو ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا أدخل في ظهر اللسان، ويمكن عدّ ذلك من قبيل الخطأ المطبعي بسقوط نقطة الرّاي لتصبح راء⁴¹.

وفي الأخير تمّ التوصل إلى المخرج الذي سقط، وهو مخرج الخياشيم؛ الذي تخرج منه التون الخفيفة بمصطلح سيبويه، أما تمام حسان فيرى أن الأصح هو النون الخفية، لأنّ النون الخفيفة تُقابل التون الثقيلة في التوكيد في علم النحو، أما النون الخفية فهي نون الإخفاء قبل حروف الفم وهي: التاء، الناء، الجيم، الدال، الذال، الرّاي، الشين،

يرتبط بدوره بالهواء الرّفيري الخارج من الرّئتين ، مارًا بالحلّق ، وصولًا إلى الشّفتين ، فأينما يكون التّضييق أو الانحباس يكون المخرج الصّوتي.

إنّ اختلاف عدد المخارج الصّوتية بين التّمودج القديم-الذي يُمثّله سيبيويه-والتّمودج الحديث-الذي يُمثّله تهمّام حسان-مردّه إلى شدّة التقارب والتّداخل بين بعض المخارج لغياب الحدود الفاصلة فصلًا تامًا بينها⁴⁷.

فسيبيويه نظر إليها نظرة تفصيل ، في حين أنّ تهمّام حسان نظر إليها نظرة إجمال ؛ فما ذكره سيبيويه مفصّلًا في مخارج: أقصى الحلّق ووسطه وأدناه ، ذكره تهمّام حسان مجملًا في مخرج واحد: حلقي. وقد جعل سيبيويه طرف اللّسان وفويق الثّنايا مخرجًا للرّاي والصاد والسين ، وضّم الطّاء والدّال والتّاء في مخرج طرف اللّسان وأصول الثّنايا ، وذهب إلى أنّ الصاد تخرج من أوّل حافة اللّسان وما يليه من الأضراس. في حين ضّمّ تهمّام حسان كلّ هذه الأصوات: الصاد ، والدّال ، والطّاء ، والتّاء ، والرّاي ، والصاد ، والسين في مخرج واحد سمّاه: أسناني لثوي.

كما فصّل سيبيويه في مخارج التّون ، واللّام ، والرّاء ؛ فجعل مخرج التّون ممّا بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا ، والرّاء ممّا بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا أدخل في ظهر اللّسان ، وقال إنّ حافة اللّسان إلى الطّرف وما فوقهما مخرج اللّام. في حين أنّ تهمّام حسان جمع التّون واللّام والرّاء في مخرج واحد سمّاه اللّثوي. وهذا على سبيل التّمثيل لا الحصر ، فتهمّام حسان يذكر التّكرار الوارد في المخارج الصّوتية عند سيبيويه إذ يقول: "والملاحظ أنّ طرف اللّسان يرد ذكره في المخارج الخمسة ذوات الأرقام: 3-4-5-6-7 ، وكذلك ترد معه الثّنايا مع تباين الجزء الذي يتّصل به طرف اللّسان منها ، ولقد ورد ذكر اللّسان في المخرجين 8-9 ، وورد ذكر وسط اللّسان في رقم: 10 ، وأقصاه في: 12 ، وذكر الحلّق في: 13-14-15 أي أدناه ووسطه وأقصاه"⁴⁸.

ولقد "تتابعت الدّراسات الحديثة حول أصوات اللّغة العربية ، ولم يخرج معظم مؤلّفيها عمّا أورده تهمّام حسان في ترتيب مخارج الحروف العربية ، وربّما زاد بعضهم موضعًا أو مخرجًا ، وربّما أنقص موضعًا"⁴⁹. والملاحظ أيضًا في المخارج الصّوتية عند تهمّام حسان ، سقوط صوت الميم من المخرج الأوّل ، فهو صوت شفوي كالباء والواو.

المخارج المتقاربة معه في منطقة محدّدة تُسمّى الحيز الصّوتي.

ومن هنا تجدر الإشارة إلى أنّ جدول أصوات العربية كما كان يراه سيبيويه ، يحوي ستّة مخارج صوتية وما دون ذلك ، فهي أحياء صوتية تضمّ أكثر من صوت. والمخارج عنده هي:

مخرج الفاء: باطن الشّفة السّفلى وأطراف الأسنان.

مخرج التّون: ما بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا.

مخرج اللّام: حافة اللّسان إلى الطّرف وما فوقهما.

مخرج الكاف: مؤخّر اللّسان وما يليه من الحنك الأعلى.

مخرج القاف: أقصى اللّسان وما يليه من الحنك الأعلى.

مخرج الرّاء: ما بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا أدخل في ظهر اللّسان.

كذلك الحال بالنّسبة إلى ما ذهب إليه تهمّام حسان ؛ فالمخارج الصّوتية عنده اثنان فقط ، وهما:

مخرج الفاء: شفوي أسناني. مخرج القاف: لهوي. وما

دون ذلك ، فهي أحياء صوتية بعضها يضمّ صوتين ، وبعضها الآخر ثلاثة أصوات. وأمّا الأسناني اللّثوي فيضمّ سبعة أصوات.

إنّ تهمّام حسان عكس ترتيب المخارج الأصوات العربية

حتّى عند ذكره للمخارج عند سيبيويه فقد سار على نهج معاصريه في بدء الوصف الصّوتي من الشّفتين وصولًا إلى الحلّق. في حين أنّ سيبيويه قد سار على نهج أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي في ترتيب المخارج الصّوتية من الحلّق وصولًا إلى الشّفتين والخيّاشيم.

ومن منطلق أنّ الوصف الصّوتي اليوم يبدأ من

الشّفتين إلى الحلّق ، انطلاقًا ممّا يكون أسهل في الرّؤية ، وأنّ القدامى جميعًا منذ الخليل وسيبيويه ، قد اتّبّعوا ترتيب

المخارج الصّوتية من الحلّق إلى الشّفتين تماشيًا ولا شكّ مع اتّجاه مجرى النّفس ، إذ يعبر جهاز التّصويت⁴⁶.

انطلاقًا ممّا سبق يمكن ترجيح كفة القدماء على كفة

المحدثين ؛ لأنّ ترتيب القدماء لمخارج الأصوات العربية من الحلّق إلى الشّفتين أكثر علمية من ترتيب المحدثين ، الذي ينطلق ممّا يكون أسهل في الرّؤية ؛ فأساس التّرتيب القديم صوتي ، وثيق الصّلة بطريقة إنتاج الصّوت اللّغوي ، الذي

1-2. تعريف صفات الأصوات

يسمىها تمام حسان الصفات التطريزية والصفات التصنيفية Correlations⁵³، وهي إحدى أسس التطريزية اللغوي؛ فالصفات التطريزية والمخارج الصوتية هما الأساسين اللذين يقوم عليهما بناء التطريز اللغوي في منهج التشكيل الصوتي.

ويُعرفها تمام حسان بأنها الظواهر الصوتية المصاحبة للحركات العضوية للجهاز النطقي⁵⁴. ويرى أنه يمكن النظر إليها من زاوية متعددة:

أولاًها: الطريقة التي يتم بها النطق في مخرج ما.

ثانيها: حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية وعدمه.

ثالثها: تحرك مؤخر اللسان أو مقدمه تحركاً ثانوياً أثناء حدوث النطق في موضع آخر⁵⁵.

وفيما سيأتي شرح مفصل لكل زاوية يربطها بصفات الأصوات:

1-2-1- صفات الصّحاح عند تمام حسان

1-التقابل المصطلحي بين الشدة والرخاوة وما بينهما

يستعمل تمام حسان الشدة والرخاوة كاصطلاح قديم، ويستعمل الانفجار الاحتكاك كاصطلاح حديث⁵⁶.

يرى تمام حسان أنّ صفتي الشدة والرخاوة وما بينهما يُمكن الوقوف عليها بالنظر إليها من الزاوية الأولى؛ وهي الطريقة التي يتم بها النطق في مخرج ما.

أ- صفة الشدة

وتكون إذا صادف الهواء الرّقيري الخارج من الرّئتين مجرى مسدوداً سداً تاماً، عند نقطة المخرج في الجهاز النطقي — من الأوتار الصوتية إلى الشفتين فيحتجز الصوت خلف نقطة الانسداد، في حالة ضغط أعلى من ضغط الهواء الخارجي، وإذا انفصل العضوان المتصلان لسدّ المجري انفصالاً مفاجئاً، اندفع الهواء الداخلي ذو الضغط الثقيل إلى الهواء الخارجي ذي الضغط الأخف محدثاً انفجاراً، وهذا الانفجار هو عنصر مهمّ لنطق الأصوات الشديدة؛ لأنّ نطقها

يتكوّن من أكثر من عنصر واحد، ويّضح ذلك فيما يأتي:

(1) اتصال عضوي لسدّ المجري	(2) انحباس الهواء خلف نقطة تلاقيهما	(3) انفصال العضوين فجأة وتسريح الهواء ←
----------------------------	-------------------------------------	---

إنّ الحكم بأنّ الهزمة هي أول الأصوات العربية مخرجا حكم سليم، ولكنّها ليست من أقصى الحلق، وإنّما هي ممّا يلي الحنجرة⁵⁰. ولكنّ سببويه لم يُصنّف الحنجرة مخرجا.

في أقصى الحلق وإلى جانب الهزمة والهاء ذكر سببويه الألف، وهو صائت عليل للمدّ دائماً؛ إذ يُعدّ حركة في كلّ مواضع اللّغة العربية، ومخرجه ليس الحلق، وإنّما هو حركة يتحدّد موضع نطقها بوضع اللسان وضعا معيّناً في الفم تجاه الحنك الأعلى، حاله حال الواو والياء المديّتين، إذ تحدّد بطريق وضع الفم تجاه الحنك، وبدرجة ارتفاع اللسان أو هبوطه⁵¹.

والاختلاف الكامن بين معطيات الدرس الصوتي القديم— ومن أعلامه سببويه— وبين الدرس الصوتي الحديث— ومن أعلامه تمام حسان— في نسبة الأصوات إلى المخارج نحو اختلافهم في الصاد والواو غير المديّة... واختلافهم في ألقاب المخارج، قد يُفسّر بتطور الأصوات؛ فإنّ بعضها قد تغيّر نطقها — مثل الصاد — فليس غريباً أن يعدّها الدرس الصوتي القديم من مخرج، ويعدّها الدرس الصوتي الحديث من مخرج آخر. كما قد يُفسّر باستعانة المحدثين بأجهزة دراسة الصوت كالأجهزة الفسيولوجية، مثل: البلاتوغراف والكيموغراف والأجهزة الصوتية الفيزيائية مثل: السيلوغراف. وكذا الاستفادة من علم التشريح⁵².

ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ للمتقدّم قصب السبق في الإبداع حتّى وإن تعثّر، وللمتأخّر التّبعية له حتّى وإن أجاد وأصاب، فسببويه وغيره من القدامى نبغوا في دراسة اللّغة عامّة وأصواتها خاصّة رغم إمكاناتهم البسيطة.

2- صفات الأصوات والحروف

تُستعمل صفات الأصوات عند الحديث عن الظواهر الصوتية المصاحبة للحركات العضوية. أمّا صفات الحروف فتستعمل عند الحديث عن الأقسام؛ فكلّ قسم يشمل عدداً من الأصوات التي تتسم بصفة معيّنة.

- إِمَّا لَأَنَّ مَجْرَاهُ فِي الْفَمِّ يَتَجَنَّبُ الْمُرُورَ بِنُقْطَةِ السَّدِّ أَوْ التَّضْيِيقِ ، كَمَا فِي صَوْتِ: اللَّامِ.

- إِمَّا لَأَنَّ التَّضْيِيقَ غَيْرُ ذِي اسْتِقْرَارٍ عَلَى حَالِهِ ، كَمَا فِي صَوْتِ: الرَّاءِ.

- إِمَّا لَأَنَّ الْهَوَاءَ لَا يَمْرُّ بِالْفَمِّ ، وَإِنَّمَا يَمْرُّ بِالْأَنْفِ ، كَمَا فِي صَوْتِي: الْمِيمِ ، وَالتَّوْنِ.

وَمِنْ هُنَا يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِنَّ تَهَامَ حَسَّانَ يَعْذُ الْوَاوُ ، الْيَاءُ ، اللَّامُ ، الرَّاءُ ، الْمِيمُ ، وَالتَّوْنُ أَصْوَاتًا مَتَوَسِّطَةً ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ شَدِيدَةً وَلَا رَخْوَةً .

وَيُصَفُ تَهَامُ حَسَّانَ الْأَصْوَاتِ الْمَتَوَسِّطَةَ بِصِفَةِ الْاسْتِمْرَارِ أَيْضًا ، وَفِيمَا يَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ :

ج- صفة الاستمرار

يَرَى تَهَامُ حَسَّانَ أَنَّ الْاسْتِمْرَارَ صِفَةٌ تُعْرَفُ بِالتَّنْظَرِ إِلَى الزَّوَايَةِ الْأُولَى وَهِيَ: الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَتَمَّ بِهَا النَّطْقُ فِي مَخْرَجِ مَا⁶¹ . وَمِنْ الْأَصْوَاتِ الْمَسْتَمِرَّةِ عِنْدَ تَهَامِ حَسَّانَ مَا يَأْتِي:

ج1- التَّكْرَارِي (Rolled)

وَهُوَ صَوْتُ يَنْطَلِقُ بِتَرْكِ اللِّسَانِ مَسْتَرَحِيًا فِي طَرِيقِ الْهَوَاءِ الْخَارِجِ مِنَ الرَّئِثَيْنِ ، فَيُرْفَرُ اللِّسَانُ ، وَيَضْرِبُ طَرْفَهُ فِي اللَّثَّةِ ضَرْبَاتٍ مَكْرَزَةً ، وَالصَّوْتُ التَّكْرَارِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ: الرَّاءِ⁶² .

ج2- الجانبي (Lateral)

وَهُوَ صَوْتُ يُنْطَلِقُ بِرَفْعِ طَرَفِ اللِّسَانِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِاللِّثَّةِ ، وَرَفْعِ الطَّبَقِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالْجِدَارِ الْخَلْفِيِّ لِلْحَلْقِ ، فَيَسْدُ الْمَجْرَى الْأَنْفِي ، وَكُلُّ هَذَا مَصْحَبٌ بِذَبْذَبَةٍ فِي الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ . وَالصَّوْتُ الْجَانِبِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ: اللَّامُ . وَمَعْنَى الْجَانِبِيَّةِ فِي نَطْقِ هَذَا الصَّوْتِ أَنَّ إِحْدَى جَانِبِي اللِّسَانِ أَوْ كِلَيْهِمَا يَدْعُ الْفُرْصَةَ لِلْهَوَاءِ الرَّئِثِيِّ لِيَمْرَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَضْرَاسِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَمْتَنِعُ فِيهِ مَرُورُهُ عَلَى وَسْطِ اللِّسَانِ لِحِيلُولَةِ طَرَفِ اللِّسَانِ الْمَتَّصِلِ بِاللِّثَّةِ دُونَ ذَلِكَ⁶³ .

ج3- الأنفي (Nasale)

فَفِي صَوْتِ الْمِيمِ تَتَّصِلُ الشَّفَتَانِ حِينَ النَّطْقِ بِهِ ، وَيَهْبِطُ الطَّبَقُ فَيَنْفَتِحُ الْمَجْرَى الْأَنْفِي ، وَيَمْرُّ الْهَوَاءُ مِنْهُ ، فِي حِينَ تَحْدُثُ ذَبْذَبَةٌ فِي الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ . أَمَّا صَوْتُ التَّوْنِ فَيَتَمَّ النَّطْقُ بِهِ بِجَعْلِ طَرَفِ اللِّسَانِ ضِدَّ اللَّثَّةِ مَعَ خَفْضِ الطَّبَقِ لِفَتْحِ الْمَجْرَى الْأَنْفِيِّ ، وَإِحْدَاثِ ذَبْذَبَةٍ فِي الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ⁶⁴ .

وَالْأَصْوَاتُ الشَّدَادُ كَمَا يَسَمُّهَا تَهَامُ حَسَّانُ هِيَ: الْبَاءُ ، التَّاءُ ، الدَّالُ ، الصَّادُ ، الطَّاءُ ، الْقَافُ ، الْكَافُ ، وَالْهَمْزَةُ ؛ وَهِيَ الَّتِي يَنْفَصِلُ الْعَضْوَانُ اللَّذَانِ يَسْدَانِ مَجْرَى الْهَوَاءِ فِيهَا انْفِصَالًا سَرِيعًا وَمَفَاجِئًا . وَالسَّرْعَةُ وَالْمَفَاجِئَةُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْانْفِجَارِ هِيَ مِنْ أَمِّهِمْ شَرْوُطُ تَسْمِيَةِ الصَّوْتِ شَدِيدًا⁵⁷ .

ب- صفة الرخاوة

تَكُونُ إِذَا صَادَفَ الْهَوَاءَ الرَّفِيرِي الْخَارِجُ مِنَ الرَّئِثَيْنِ مَجْرَى ضَيْقًا لَا مَسْدُودًا ، يَسْمَحُ لِلْهَوَاءِ بِالْمُرُورِ مُحْتَكًا بِنُقْطَةِ التَّضْيِيقِ بَيْنَ الْعَضْوَيْنِ . وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي يَصْحَبُهَا هَذَا التَّوَعُّعُ مِنْ طَرِيقَةِ النَّطْقِ تُسَمَّى: الْأَصْوَاتُ الرَّخْوَةَ ، وَهِيَ: التَّاءُ ، الْحَاءُ ، الْخَاءُ ، الدَّالُ ، السِّينُ ، الشَّيْنُ ، الصَّادُ ، الطَّاءُ ، الْعَيْنُ ، الْغَيْنُ ، وَالْفَاءُ⁵⁸ .

ت- صفة التعطيش (التركيب من الشدة والرخاوة)

وَتَكُونُ عِنْدَ الْجَمْعِ بَيْنَ عِنَصِرِ الشَّدَّةِ وَعِنَصِرِ الرَّخَاوَةِ ؛ أَي يَكُونُ الصَّوْتُ مَرْكَبًا مِنْهُمَا ، فَتَتَوَقَّرُ فِيهِ شَرْوُطُ الشَّدَّةِ كَالْانْسِدَادِ الْمَطْلُوقِ وَالْانْفِجَارِ ، وَلَا تَتَوَقَّرُ فِيهِ أُخْرَى كَالسَّرْعَةِ وَالْمَفَاجِئَةِ ؛ إِذْ لَا يَصَاحِبُهُ انْفِصَالٌ مَفَاجِئٌ لِلْعَضْوَيْنِ الْمُتَّصِلِينَ لِسَدِّ الْمَخْرَجِ ، بَلْ يَصَاحِبُهُ انْفِصَالٌ بَطِيءٌ . وَفِي هَذَا الْأَخِيرِ مَرْحَلَةٌ بَيْنَ الْانْسِدَادِ الْمَطْلُوقِ وَالْانْفِجَارِ الْمَطْلُوقِ شَبِيهَةٌ كَلَّ الشَّبَهَ بِالتَّضْيِيقِ الَّذِي يَكُونُ مَعَ صِفَةِ الرَّخَاوَةِ ؛ فَهَذِهِ الْمَرْحَلَةُ تَأْتِي بَعْدَ انْفِجَارِ الْهَوَاءِ الرَّفِيرِيِّ مَبَاشَرَةً ، فَتَسْمَحُ لَهُ بِالْإِحْتِكَائِ بِالْعَضْوَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي طَرِيقِ التَّبَاعُدِ الْبَطِيءِ احْتِكََاكَ شَبِيهًا بِمَا يُصَاحِبُ الْأَصْوَاتِ الرَّخْوَةَ⁵⁹ .

وَالصَّوْتُ الْعَرَبِيُّ الْمَرْكَبُ بَيْنَ الشَّدَّةِ وَالرَّخَاوَةِ هُوَ صَوْتُ: الْجِيمِ ، وَيَتَمَّ النَّطْقُ بِهِ بِأَنْ يَرْتَفِعَ مَقْدَمُ اللِّسَانِ فِي اتِّجَاهِ الْغَارِ ، حَتَّى يَتَّصِلَ بِهِ مُحْتَجِزًا وَرَاءَهُ الْهَوَاءَ الْخَارِجَ مِنَ الرَّئِثَيْنِ . ثُمَّ بَدَلَ أَنْ يَنْفَصَلَ عَنْهُ فَجَاءَ - كَمَا فِي نَطْقِ الْأَصْوَاتِ الشَّدِيدَةِ - يَتَمَّ هَذَا الْانْفِصَالُ ببطءٍ ، فَيُعْطَى لِلْهَوَاءِ بَعْدَ الْانْفِجَارِ فُرْصَةً لِإِحْتِكَائِهِ بِالْعَضْوَيْنِ⁶⁰ .

ث- صفة التوسط بين الشدة والرخاوة

وَتَكُونُ إِذَا مَرَّ الْهَوَاءُ الرَّفِيرِي بِمَجْرَاهُ دُونَ انْحِبَاسٍ أَوْ احْتِكَائِهِ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ ؛ فَالصَّوْتُ هُنَا لَا يَكُونُ شَدِيدًا وَلَا رَخْوًا ، وَذَلِكَ لِمَا يَأْتِي:

- إِمَّا لَخُلُوقِ مَجْرَاهُ فِي الْفَمِّ مِنَ الْمَعْوَقَاتِ ، كَمَا فِي صَوْتِي: الْوَاوِ ، وَالْمِيمِ .

ج4- نصف عليّ (semi-vowel)

بأنصاف الحركات أو العلل، أو أنصاف الصّوامت، والاسم الأول منهما أكثر شيوعاً.

صوت الواو يُنطق بضمّ الشّفتين ضمّاً دون الإقفال، مع نتوئتهما إلى الأمام، ورفع مؤخّر اللسان، وسدّ المجرى الأنفي، ووجود ذبذبة في الأوتار الصوتية. أمّا صوت الياء فهو أيضاً صوت عليّ يُنطق برفع مقدّم اللسان في اتجاه الغار، ورفع الطّبّق حتّى يسدّ المجرى الأنفي، مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية⁶⁵.

2-التقابل المصطلحي بين الجهر والهمس

يرى تهم حسان أنّ صفتي الجهر والهمس يُمكن الوقوف عليهما بالنظر إليهما من الزاوية الثانية وهي: حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية وعدمه.

أ- صفة الجهر

وتكون بحدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية تُصاحب نطق الصّوت فيسمّى: مجهوراً. والأصوات المجهورة عند تمام حسان هي: الضاد، الباء، الدال، الطاء، الذال، الزاي، الغين، العين، الهاء، الجيم، اللام، الرء، النون، الواو، والياء⁶⁸.

ب- صفة الهمس

وتكون بغياب ذبذبة الأوتار الصوتية عند النطق بالصّوت، فيسمّى: مهموساً. والأصوات المهموسة عند تمام حسان هي: الطاء، التاء، الكاف، القاف، الهيمزة، الصاد، الفاء، التاء، السين، الخاء، والحاء⁶⁹.

ويستحضر تهم حسان آلية التقابل المصطلحي بين الجهر والهمس فيرى أنّهما صفتان تختلف فيهما الأصوات وتتقابل، حتّى ولو اتّحدت في المخارج، وهنا تتجلى فكرة القيم الخلافية في تحديد الصّوت تحديداً إيجابياً أو سلبياً؛ فالجانب الإيجابي يتّضح في الاتّحاد في المخرج، والجانب السلبي يتّضح في الاختلاف والتقابل في الصّفات. ويسوق تهم حسان أمثلة لذلك موضّحة في الجدول الآتي:

همس	جهر	
ت	د	شدة
س	ز	رخاوة
-	ج	المعطش
-	ل	توسط

فالبعض الثّاني من المعنى، أو سمّه مفهوم المخالفة إن أردت أو الجانب السلبي إن شئت، هو الذي يبنّي على القيمة الخلافية بين (د)، (ت) من ناحية، وبين (د) و(ز) من ناحية أخرى. ومثل ذلك يُقال في التفريق بين كلّ صوت وآخر من أصوات اللّغة. ولعلك قد لاحظت أنّ (ج) و(ل) في هذا الجدول ليس لهما مقابل مهموس⁷⁰.

إنّ ما اصطُح عليه تهم حسان نصف عليّ لا يختلف عمّا أدركه علماء العربية واصطلحوا عليه نصف حركة؛ إذ يشير ابن جيّ أنّ الواو والياء "لما تحرّكتا قويتا بالحركة فلهقتا بالحروف الصّحيحة"⁶⁶، ويُعبّر كمال بشر عن ذلك بقوله: "إنّ هذين الصّوتين يقلّ فيهما الاحتكاك بدرجة تُقرّبهما من الحركات. ومن ثمّ كان الاصطلاح أنصاف الحركات، وهو ما عبّر عنه ابن جيّ بأنّهما ملحقان بالأصوات الصّحاح أي الصّامتة أو مضارعان لهما...إنّهما صوتان صامتتان وظيفياً، ولكّتهما يشبهان الحركات نطقاً"⁶⁷.

إنّ الأداء النّطقي لأنصاف الحركات أو أنصاف العلل يؤكّد أنّ 50% الأولى من الواو أو الياء غير المديتين تتسم نسبياً بالوضوح السّمي لخلوّ مخرجها من أيّ سدّ أو تضيق في المخرج، على خلاف 50% الثّانية منها التي تقلّ قوّة الإسماع فيها نتيجة تضيق المخرج؛ وعليه فإنّ الجزء الأوّل منها فيه من صفات الحركات أو العلل، وأمّا الجزء الثّاني منها ففيه من صفات الصّامت الصّحاح. وهذا هو سرّ تسميتها

ويُعلّق قائلاً: "الجهر والهمس ناحيتان تختلف فيهما الأصوات وتتقابل، حتّى لو اتّحدت مخارجهما، كما في صوتي الدال والتاء، وكما في صوتي الزين ***** والسين؛ فالصّوت الأوّل من كلّ زوج مجهور والثّاني مهموس، والزّوج الأوّل شديد والثّاني رخو، والزّوجان معا من الأصوات الأسنانية اللّثوية، فبعض معنى (د) أنّها صوت شديد مجهور، وبعض هذا المعنى أيضاً أنّها ليست (ت) ولا (ز)، مع اشتراك بينهما وبين القرين الأوّل في الشّدة، وبينها وبين الثّاني في الجهر.

والظاء. والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تُطبق لشيءٍ منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى⁷⁶. ويرى تمام حسان أنّ الإطباق هو أحد عناصر التّفخيم، ويُشير إلى أنّ النّحاة والقراء الأقدمين قد عبّروا عن الطبّية والإطباق كليهما باصطلاح الاستعلاء، وقصدوا بذلك علوّ مؤخّر اللّسان في اتّجاه الطّبّق سواء اتّصل به كما في الطبّية، أم لم يتصل كما في الإطباق⁷⁷.

ب- صفة التّفوير (Palatalization)

صفة التّفوير عند تمام حسان تُقابل صفة الإطباق، والتّفوير هو: نطق الصّوت الذي مخرجه خلف الغار من الغار، أو أقرب ما يكون إليه. ويضرب لذلك أمثلة منها في لهجة العراق صوت الكاف المجاور لحركة الكسرة مغوّر كما في: فيك، فهم يقولون: فيتش⁷⁸. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ تمام حسان قد وضع مصطلح الإطباق مقابلاً لمصطلح التّفوير، في حين أنّ سيبويه جعل مصطلح الإطباق مقابلاً لمصطلح الانفتاح⁷⁹.

4-التقابل المصطلحي بين التّفخيم والترقيق

يرى تمام حسان أنّ الإطباق هو أحد عنصري التّفخيم، وأنّ التّفوير هو من أسباب التّرقيق، وعليه يُمكن التّظر إلى التّفخيم والترقيق كالإطباق والتّفوير من الزّاوية الثالثة، وهي: تحرّك مؤخّر اللّسان أو مقدّمه تحرّكاً ثانوياً أثناء حدوث التّطق في موضع آخر.

أ- صفة التّفخيم

هي ظاهرة صوتية ناتجة عن حركات عضوية تُغيّر من شكل حُجرات الرّنين بالقدر الذي يُعطي الصّوت هذه القيمة الصوتية المفحّمة. وإذا كان الإطباق هو أحد عنصري التّفخيم، فإنّ عنصره الثّاني هو التّحليق. والتّحليق (Pharyngalization): هو قرب مؤخّر اللّسان من الجدار الخلفي للحلق، نتيجة لتراجع اللّسان بصفة عامّة⁸⁰.

ويرى تمام حسان أنّ الاستطالة هي نتيجة طبيعية للتّحليق، وهذا الأخير يوجد في الصّاد والصّاد والظّاء والظّاء⁸¹. ويُشير إلى أنّ حروف الإطباق الأربعة سالفة الذّكر، مُفحّمة إلى درجة أكبر من تفخيم الحروف الطبّية الثّلاثة: الغين، الخاء، والقاف؛ ذلك لأنّ حروف الإطباق يبقى لها تفخيمها في كلّ وضع، ومع كلّ حرف علّة سابق أو لاحق. أما الحروف الثّلاثة الطبّية فإنّها لا تُفحّم في مجاورة الكسرة⁸².

3-التقابل المصطلحي بين الإطباق والتّفوير

يرى تمام حسان أنّ صفتي الإطباق والتّفوير يُمكن الوقوف عليهما بالتّظر إليهما من الزّاوية الثّالثة وهي: تحرّك مؤخّر اللّسان أو مقدّمه تحرّكاً ثانوياً أثناء حدوث التّطق في موضع آخر.

أ- صفة الإطباق (Velarization)

قبل الوقوف على ماهية الإطباق – واستناداً إلى القيمة الخلافية-ينبّه تمام حسان القاريء محدّراً إياه من الخلط بين اصطلاحين يختلفان أكبر اختلاف، وإن اتّحدا في كثير، ممّا يخلق صلة بينهما، وهما: الطبّية (Velar Articulation) والإطباق (Velarization)، فمن خلال آلية التقابل المصطلحي يميّز بينهما فيرى أنّ:

الطبّية: هي حركة عضوية يبقى اللّسان معها في وضع مُحايد، إذ يكون التّطق في مخرج الطّبّق؛ أي ارتفاع مؤخّر اللّسان حتّى يتّصل بالطّبّق، فيسدّ المجرى أو يُضيقه تضييقاً يُؤدّي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما⁷¹. ويحدث هذا عند نطق خ-غ-ق⁷².

وأنّ الإطباق: هو ظاهرة عضلية تصحب التّطق؛ إذ يرتفع مؤخّر اللّسان في اتّجاه الطّبّق دون أن يتّصل به، فيجري التّطق في مخرج آخر غير الطّبّق غالباً ما يكون طرف اللّسان أحد الأعضاء العاملة فيه. وتنتج عن الإطباق قيمة صوتية تُلوّن الصّوت المنطوق برنين خاص، كما في نطق: الصّاد، والصّاد، والظّاء، والظّاء. وتجدر الإشارة إلى أنّ تمام حسان نفسه يقع فيما حدّر القارئ منه إذ يقول: "الاستطالة وهي نتيجة طبيعية لامتداد اللّسان من الأسنان إلى ما يداني الجدار الخلفي للحلق، ويُسمّى التّحليق... وهو يوجد في الصّاد المصرية الحديثة، وفي كلّ الأصوات الطبّية وهي: الصّاد والصّاد والظّاء والظّاء⁷³. وهنا يلتبس الأمر؛ فالصّاد والصّاد والظّاء والظّاء أصوات إطباق أي مطبقة وليست أصوات طبّية ودليل ذلك قوله: "الطبّيات التي يتمّ نطقها في الطّبّق هي أصوات الخاء والغين والقاف"⁷⁴ ويقول: "وصوت القاف لهوي، ومن ثمّ كان طبقياً لا مطبقاً"⁷⁵؛ أي يوصف بالطّبّية لا بالإطباق فأصوات الأولى هي: القاف والحاء والغين. وأصوات الثّانية هي: الصّاد والصّاد والظّاء والظّاء. وهذا ما ذهب إليه سيبويه في قوله: "ومنها [أي الحروف] المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصّاد والصّاد والظّاء

وهي: الباء، الدال، التاء، الكاف، القاف، الهيمزة، الدال، الغين، العين، الهاء، الفاء، التاء السنين، الشين، الخاء، والحاء⁸⁵.

ويمكن تلخيص أسباب التّفخيم والتّرقيق فيما قاله تهم حسان: "وإذا كان السّبب في التّفخيم، وهو ظاهرة صوتية، ما يلابسه من إطباق (رفع مؤخّر اللّسان إلى الطّبّق)، وتحليق (تقريب اللّسان من الجدار الخلفي للحلق)، وهما حركتان عضويتان؛ فإنّ السّبب في التّرقيق عدم هاتين الحركتين"⁸⁶ مع حضور التّغوير (نطق الصّوت الذي مخرجه خلف الغار، من الغار أو من قربه).

ويُلخّص تهم حسان صفات الأصوات في الجدول الآتي⁸⁷:

ومما سبق ذكره يتّضح أنّ التّفخيم صفة صوتية دائمة مع حروف الإطباق، وعارضة مع الحروف الطّبّقية؛ إذ تُفخّم الغين والحاء والقاف إذا لم تجاورها الكسرة، ولا تُفخّم إذا جاورتها، وصنّفها تهم حسان في خانة الأصوات غير المفخّمة كما يظهر في الجدول.

ب- صفة التّرقيق

تقابل صفة التّرقيق صفة التّفخيم، وتنطلق في الأساس من "حركة مؤخّر اللّسان في أثناء النّطق؛ إذ إنّ هذه الحركة معناها إعادة تكييف حُجرة الرّنين لدى البلعوم من حيث الشكل والحجم"⁸³.

ويُشير تهم حسان إلى أنّ التّغوير من عوامل التّرقيق، إذ يقول: "أما التّغوير فنتيجته قيمة أصواتية مرّقة ترقيقاً عظيماً"⁸⁴ تنتج عنها الأصوات المرّقة غير المفخّمة

جدول صفات الصّحاح عند تمام حسان

صفات الحروف													
متوسّط				مرغّب		رخو		شديد				المخارج	
مجهور كلي				مجهور	مهموس		مجهور		مهموس		مجهور		
نصف حرف	أنفي	تكراري	جانبي		غير مفخّم	مفخّم	غير مفخّم	مفخّم	غير مفخّم	مفخّم	غير مفخّم		مفخّم
علة											ب	شفوي	
و	[م]				ف							شفوي أسناني	
					ث		ذ	ظ				أسناني	
					س	ص	ز		ت	ط	د	ض	أسناني لنوي
	ن	ر	ل									لنوي	
				ج	ش							غاري	
					خ		غ		ك			طبقي	
									ق			لهوي	
					ح		ع					حلقي	
							هـ		ء			حنجري	

ويُشبهه تهم حسان هذه المنظّمة التّشكيلية الحرفية في مجموعها بمرّعات رقعة الشطرنج؛ فالمرّعات في هذه الرّقعة تختلف بحسب الاعتبارات الآتية:

1- سواد المرّيع وبياضه.

2- مكان المرّيع في الخط الرّأسي.

3- مكان المرّيع في الخط الأفقي.

4- مكان المرّيع في الخط المائل.

ويشير تهم حسان إلى أنّ هذا الجدول بخطّه الأفقي الذي يمثّل المخرج والصفّات جميعها، وهذا هو التّطيريز الحرفي في اللّغة، إذ لا يُمكن أن يتّحد مرّعات في كلّ هذه الصفّات⁸⁸، فلو اتّفق حرفان في المخرج والصفّات لكانا صوتاً واحداً.

لمعرفة الجديد الذي أتى به تهم حسان في صفات الأصوات، تجدر الإشارة إلى القديم لاكتشاف ما جدّ عليه، وذلك من

خلال صفات الأصوات عند سيوييه، والذي قسّمها على النّحو المبين في الجدول الآتي⁸⁹:

الصفات										المخارج
أ	ب	رخو				ت	شديد			
		مجهور		مهموس			يمنع النفس معه			
		مفتوح	مقصور	مفتوح	مقصور		مفتوح	مقصور	مفتوح	
	و								ب	1- ما بين الشفتين
		ف								2- باطن الشفة السفلى وأطراف الأسنان
				ظ	ذ					3- طرف اللسان وأطراف الثنايا
					ز					4- طرف اللسان وفوق الثنايا
			ص		س				د	5- طرف اللسان وأصول الثنايا
										6- ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا
									ن	7- ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا أدخل في ظهر اللسان
									ل	8- حافة اللسان إلى الطرف وما فوقهما
				ض						9- أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس
	ي	ش							ج	10- وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى
									ك	11- مؤخر اللسان ومل يليه من الحنك الأعلى
									ق	12- أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى
			خ	غ						13- أدنى الحلق
		ح			ع					14- وسط الحلق
ا		هـ							ء	15- أقصى الحلق

الأصل السابق، وعليها سار ويسير الثقات من قرآء القرآن الكريم⁹¹.

وصف تمام حسان صوت العين بالرّخو، في حين أنّ سيبويه يقول: "وأما العين فبين الرّخوة والشّديدة"⁹². ويرى كمال بشر أنّ "الحكم بينية صوت العين حكم غير دقيق في النّظر الحديث؛ إذ هو صوت احتكاكي دون شكّ، وإن كان يمتاز بأنّه أقلّ الأصوات الاحتكاكية احتكاكا. ولعلّ هذا هو السرّ الذي قاد سيبويه وغيره إلى هذا الحكم"⁹³. وعليه يمكن القول باحتكاكية العين وترجيح وجهة النّظر الحديثة لاستناد هذه الأخيرة على الأجهزة الصوتية الدقيقة لدراسة الصّوت. يرى تمام حسان أنّ العربية الفصحى تعترف بثلاثة حروف علّة يختلف كلّ منها بين الطّول والقصر؛ أي أنّها عنده ثلاثة لكلّ منهما كمّيتان؛ إحداهما قصيرة، والثانية طويلة أو لين⁹⁴.

وذهب تمام حسان إلى أنّ الأبجدية العربية لم تُعن بالعلل لا من الناحية الأصواتية، ولا من الناحية التشكيلية، بل جعلت لها رموزا إضافية تابعة لرموز الصّحاح، وتدلّ على الحرف أكثر ممّا تدلّ على الصّوت⁹⁵، ورموزها هي: الفتحة (ـَ)، الضّمة (ـُ)، والكسرة (ـِ). ورأى أنّ " الفتحة

بعد تأمل صفات الأصوات عند سيبويه وتّمّام حسان تبين ما يأتي:

اتفق تمام حسان مع سيبويه في الشّدة والرّخاوة وما بينهما على مستوى الاصطلاح، فرجّح بذلك كفة المصطلح القديم على كفة المصطلح الحديث: الانفجار والاحتكاك، إلّا أنّ نقاط الاختلاف تظهر فيما يأتي:

أقصى سيبويه الألف والواو والياء، فعّد الأوّل هاو في الهواء، فأقصاؤه مقبول لأنّه في مقام دراسة الأصوات الصّحيحة. ولكن، إقصاءه لحرفي اللين: الواو والياء يحيل إلى أنّه لم ينظر إلى صورتها غير المدّية؛ فهما أنصاف حركات Semi-Vowels. وتّمّام حسان أدرك أنّهما تختلفان عن الألف المقصية المدّية العليّة دائما، فصنّفهما في خانة التّوسط بين الشّدة والرّخاوة.

عّد سيبويه الجيم صوتا شديدا في أنّ تمام حسان أدرك أنّه صوت معطّش مرگّب من الشّدة والرّخاوة. وفي هذا يرى كمال بشر " أنّ علماء العربية في القديم لم يلتفتوا إلى التّطور الذي أصابها [أي الجيم] أي صيرورتها وقفة-احتكاكية بعد أن كانت وقفة خالصة"⁹⁰. ويرى أنّ الجيم صوت "مرگّب Affricate ورمزه [dj] وهذه الصّورة من التّطق متطوّرة عن

ساقه تمام حسان فإن الفتحة القصيرة التي لا يمكن أن تظهر بمعزل عن الصامت، قد يغيب رمزها حتى وإن كان الصامت حاضرا. أما من الناحية الأصواتية، فالتلون الصوتي للفتحة العربية بتفخيمها أو ترقيقها أو بينهما، لا يمثله من الناحية التشكيلية إلا رمز واحد هو خط صغير فوق الحرف الصحيح. ناهيك عن ارتباط هذا الرمز الوحيد - الذي كثيرا ما يغيب- بالتفخيم والترقيق وهما ثنائية ضدية من قبيل الصفات الصوتية العامة العارضة التي تحضر لسبب، وتغيب لغيب هذا السبب. ومن هنا قد يلتبس الأمر أصواتيا حتى وإن كان الرمز حاضرا تشكليا، ويوضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

حركة بين بين	حركة مرققة	حركة مفخمة	
قبر	سبر	صبر	أمثلة الفتحة القصيرة
قم	دم	ضم	أمثلة الضمة القصيرة
قيام	رمال	صيام	أمثلة الكسرة القصيرة

وفي الأخير يمكن القول إن آلية التقابل المصطلحي تظهر جلية في أنظمة اللغة العربية عامة، والنظام الصوتي خاصة، ومن خلال هذه الورقة البحثية حول: آلية التقابل المصطلحي ودورها في تيسير الدرس الصوتي عند تمام حسان، تتجلى طائفة من المتقابلات على سبيل التخالف أو التضاد، نحو: اللغة والكلام، الفونيتيك والفونولوجيا، الصوت والحرف، الصّحاح والعلل، الشدة والرخاوة، الجهر والهمس، الإطباق والتعوير، التفخيم والترقيق... ولهذه الأخيرة دور مهم في تيسير الدرس الصوتي؛ لأن ماهية أي عنصر تُعرف بذكر ما يخالف هذا الأخير، وكذا لأن الأشياء تُعرف بأضدادها، ويظهر ذلك قابل تمام حسان بين مصطلحي الفونيتيك والفونولوجيا وفرق بينهما على أساس التفریق السوسيري بين الكلام واللغة كما أنه قابل بين مصطلحي الصوت والحرف؛ فرأى أن حقل الصوت هو الفونيتيك وحقل الفونيتيك هو الكلام، وأن حقل الحرف هو الفونولوجيا وحقل الفونولوجيا هو اللغة.

القصيرة مثلا ذات أصوات ثلاثة في العربية الفصحى أحدها مفخم، وثانيها أقل تفخيما، وثالثها مرقق، ومع ذلك لم يُعن واضعوا الرموز العربية بهذا، بل وضعوا لكل أولئك خطأ فوق رمز الحرف الصحيح قلما يستعمل في أيامنا هذه إلا في ظروف خاصة ومواقف معينة⁹⁶.

إن ما اصطلح عليه تمام حسان بالعلل، وهي بالمصطلح الصوتي الصوائت، تُعاني فعلا قصورا سواء من الناحية التشكيلية أو من ناحية الاستعمال الصوتي، فمن الناحية الأولى قلما تُستعمل حتى في المراحل الأولى من التعلّم. أما من الناحية الثانية، وانطلاقا من المثال الذي

والفرق في المعنى لا يرجع إلى التفخيم في الحركات أو الترقيق أو الحال الوسطى بينهما، وإنما يرجع إلى وجود الصاد في صبر، والسين في سبر، والقاف في قبر؛ فالفتحة القصيرة إذن حركة واحدة من الناحية الوظيفية، وثلاث من الناحية التطبيقية الفعلية، ومثلها الفتحة الطويلة أي الألف. كذلك الحال بالنسبة للضمة والكسرة القصيرتين، فكل واحدة منهما تُمثل حركة واحدة من الناحية الوظيفية، وثلاث من الناحية التطبيقية الفعلية، ومثلها الضمة الطويلة، أي الواو، والكسرة الطويلة، أي الياء⁹⁷. وبهذا يكون مجموع الحركات من الناحية الأصواتية هو: ثمانية عشر، وليس كما ذهب تمام حسان في أنّها ثلاثة لكل منها كميّتان، إحداهما قصيرة، والثانية طويلة؛ فلا يمكن أن نستعيز بالجزء عن الكل، خاصة وأن الحركات القصار لا تعوّض الطوال؛ فلا الفتحة (ـ) تحل محل الألف (ا)، ولا الضمة (ـ) تحل محل الواو (و)، ولا الكسرة (ـ) تحل محل الياء (ي)، والعكس صحيح.

الهوامش

- ¹ صلاح الدين صالح حسنين. جهود الدكتور تمام حسان الصوتية. مقال في كتاب تذكاري: تمام حسان رائدا لغويا. عبد الرحمن العارف. عالم الكتب. ط 1. (2002). ص 191.
- ² تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. الدار البيضاء. (2001). ص 9.
- ³ للاستزادة يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. من ص 38 إلى ص 64.
- ⁴ يُنظر: تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 13.
- اللغة العربية معناها ومبناها ص 32.
- ⁵ تمام حسان. أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية. حوليات دار العلوم. مطبعة جامعة القاهرة. 1969. ص 123.
- ⁶ تمام حسان. الفكر اللغوي الجديد. ص 27.
- ⁷ يُنظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 50.
- اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 160.
- ⁸.Trubetskoy. Principe de Phonologie. Paris. 1949.P 03
- نقلا عن: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 139.
- ⁹ تمام حسان. المرجع نفسه. ص 67-139.
- ¹⁰ يُنظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 45-65.
- ¹¹ يُنظر: حلمي خليل. العربية وعلم اللغة البنيوي "دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث" دار المعرفة الجامعية. 1996. ص 227.
- 228.
- ¹² يُنظر: حلمي خليل. المرجع نفسه. ص 228.
- ¹³ يُنظر: تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 48.
- ¹⁴ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 151 – 152.
- ¹⁵ يُنظر: تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 119.
- ¹⁶ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 66.
- ¹⁷ يُنظر: تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 119-129.
- ¹⁸ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 141.
- ¹⁹ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 142-147.
- ²⁰ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 148-149.
- ²¹ تمام حسان. المرجع نفسه. ص 152.
- ²² تمام حسان. المرجع نفسه. ص 152.
- ²³ يُنظر: تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 118.
- ²⁴ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 110.
- ²⁵ يُنظر: تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 119.
- ²⁶ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 153-154.
- ²⁷ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 73.
- ²⁸ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 115.
- ²⁹ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 110.
- ³⁰ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 110-111.
- *.سقط الميم من الجدول
- ³¹ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 50.
- ³² تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 50. 51.
- ** يشير محقق الكتاب عبد السلام هارون في هامش ص 432 إلى أنّ سيبويه عدّ هذين الجيمين جيما واحدة ، وهي الجيم التي تكون كالشين.
- ³³ يُنظر: سيبويه. الكتاب ج 4. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. (2009). ص 431-432.
- ³⁴ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 57.
- ³⁵ يُنظر: مهين حاجي زاده. دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث. مجلة التراث الأدبي. السنة الثانية. العدد الخامس. (1388/11/18هـ). ص 64. على الرابط: www.sid.ir/fa. محرك البحث: Ask.
- ³⁶ خديجة إيكر. تنبه سيبويه إلى الفرق بين الحروف الأصلية أو بين الفونيم والألوفون. منتديات رواء الأدب. فضاء اللغة "الأصوات". تاريخ النشر: (2012/01/15). على الساعة: 16:01. على الرابط: www.ruowaa.com. محرك البحث: Ask. والمقال منشور أيضا على صفحة:

- ملتقى إحياء علوم الدين. الغرفة الصوتية. التعديل الأخير بواسطة: أ.د. خديجة إيكير (يوم: 2012/01/25). على الساعة: 14:12. على الرابط: almolltaqa.com. محرك البحث: Ask.
- ³⁷ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. (2001). ص 59.
- *** خطأ مطبعي والصواب هو: الزأي.
- **** سقط الصوت الذي يخرج من هذا المخرج وهو: الرء.
- ³⁸ الفايز صدام. الدرس الصوتي عند سيبويه (عرض، مشكلات، تقييم). على شبكة الألوكة. المجلس العلمي. (شعبان 1430هـ). على الساعة: 09:05. على الرابط: [/majles.alukah.net/38007](http://majles.alukah.net/38007). محرك البحث: Ask.
- وأحمد القرشي. الخلاف بين سيبويه والخليل في الصوت والبنية. على الرابط: <https://uqu.edu.sa/majalat/>. محرك البحث: Ask.
- ³⁹ للاستزادة ينظر: سيبويه. الكتاب ج 2. طبعة بولاق. المكتبة الكبرى الأميرية ط 1. القاهرة. (1316) هـ. ص 405.
- سيبويه. الكتاب ج 4. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي ط 5. القاهرة. (1430هـ). ص 433.
- ⁴⁰ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. 2001. ص 59.
- ⁴¹ تمام حسان. المرجع نفسه. ط 5. عالم الكتب. 2006. ص 59.
- ⁴² يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 53.
- ⁴³ يُنظر: الفايز صدام. الدرس الصوتي عند سيبويه (عرض، مشكلات، تقييم). على الرابط: [/majles.alukah.net/38007](http://majles.alukah.net/38007). محرك البحث: Ask.
- ⁴⁴ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 111.
- ⁴⁵ للاستزادة ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج 1، سلسلة المعاجم والفهارس، ص 57-58.
- ⁴⁶ مهين حاجي زاده. دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث. مجلة التراث الأدبي. السنة الثانية. العدد الخامس. 1388/11/18هـ. ص 64. على الرابط: www.sid.ir/fa. محرك البحث: Ask.
- ⁴⁷ كمال بشر. علم الأصوات. دار غريب. (2000). ص 191.
- ⁴⁸ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 58.
- ⁴⁹ للاستزادة يُنظر: غانم قدوري الحمد. مخارج حروف العربية: عددها و ترتيبها بين الدرس القديم و الدرس الحديث (عرض و مناقشة). مجلة الحكمة. العدد: 38. (محرم 1430هـ). ص 315-358. على الرابط: <http://vb/tafsir/net/tafsir19744/>. محرك البحث: Ask.
- ⁵⁰ يُنظر: كمال بشر. علم الأصوات. ص 192.
- ⁵¹ يُنظر: كمال بشر. علم الأصوات. ص 194-195.
- ⁵² مهين حاجي زاده. دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث. ص 67-68.
- ⁵³ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 115.
- ⁵⁴ تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 118.
- ⁵⁵ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 112.
- ⁵⁶ يُنظر: مناهج البحث في اللغة. ص 131.
- ⁵⁷ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 112-113.
- ⁵⁸ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 112-113.
- ⁵⁹ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 113.
- ⁶⁰ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 131-132.
- ⁶¹ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 112.
- ⁶² يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 132.
- ⁶³ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 133.
- ⁶⁴ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 133-134.
- ⁶⁵ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 135-136.
- ⁶⁶ ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج 1. ص 22-32.
- ⁶⁷ كمال بشر. علم الأصوات. ص 381.
- ⁶⁸ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 156.
- ⁶⁹ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 156.
- ***** الزأي.
- ⁷⁰ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 114.
- ⁷¹ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 115.

- ⁷² صلاح الدين صالح حسنين. جهود الدكتور تمام حسان الصوتية. ص 196.
- ⁷³ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 125.
- ⁷⁴ تمام حسان. المرجع نفسه. ص 121.
- ⁷⁵ تمام حسان. المرجع نفسه. ص 125.
- ⁷⁶ سيوييه. الكتاب. ج 4. ص 436.
- ⁷⁷ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 116.
- ⁷⁸ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 116.
- ⁷⁹ يُنظر: سيوييه. المصدر السابق. ج 4. ص 436.
- ⁸⁰ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 116.
- ⁸¹ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 120.
- ⁸² يُنظر: تمام حسان. نفسه. ص 188.
- ⁸³ تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 118.
- ⁸⁴ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 116.
- ⁸⁵ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 116. ينعت تمام حسان هذه الأصوات بغير المفخمة، وفي نفس الكتاب ص 187. واللغة بين المعيارية والوصفية. ص 118. يستعمل مصطلح الترقيق كمقابل للتفخيم.
- ⁸⁶ تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 127.
- ⁸⁷ تمام حسان. المرجع نفسه. ص 116.
- ⁸⁸ يُنظر: تمام حسان. المرجع نفسه. ص 157.
- ⁸⁹ فكرة الجدول مستقاة من كتاب تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ص 59. وتم الاعتماد على: سيوييه. الكتاب. ج 4. تخ:
- عبد السلام محمد هارون. ص 433.
- ⁹⁰ كمال بشر. علم الأصوات. ص 329.
- ⁹¹ كمال بشر. المرجع نفسه. ص 339.
- ⁹² سيوييه. الكتاب. ج 4. ص 435.
- ⁹³ كمال بشر. علم الأصوات. ص 207.
- ⁹⁴ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 116 و ص 136.
- ⁹⁵ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 15.
- ⁹⁶ يُنظر: تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. ص 15.
- ⁹⁷ كمال بشر. علم الأصوات. ص 207.